الزوايا والثورة الجزائرية 1954-1962

(الرحمانية نموذجا)

الدكتور محمد شرقي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة.

الملخص:

يتناول هذا الموضوع دور الزوايا في الثورة الجزائرية (1954-1962)، خاصة الطريقة الرحمانية، من خلال دراسة وتحليل السياسة الاستعمارية الفرنسية اتجاه الزوايا في فترة ما قبل اندلاع الثورة، وعلى وجه الخصوص الطريقة الرحمانية التي لعبت دورا كبيرا في دعم جبهة التحرير الوطني بشريا وماديا، ومعنويا، وهو ما سيتضح من خلال العديد من الزوايا التابعة لهذه الطريقة، وعلى رأسها زاوية بلحملاوي، وزاوية طولقة، وزاوية نفطة.

وسنرى كيف أن رد السلطات الاستعمارية كان قاسيا، حيث تعرضت بعض الزوايا إلى التهديم، وتعرض العديد من الشيوخ والإخوان إلى السجن أو النفي. كما أن الكثير من قادة الثورة الكبار كانوا أبناء أسر تنتمي إلى الطريقة الرحمانية، مثل حسين آيت أحمد، مصطفي بن بولعيد، سي الحواس، عبد الحميد مهري، هواري بومدين، علي كافي...إلخ.

أولا- السياسة الاستعمارية تجاه الزوايا قبل اندلاع الثورة في أول نوفمبر 1954:

بدأ اهتمام الفرنسيين بالطرق الصوفية والزوايا في حدود سنة 1842، أي بعد أكثر من عقد على احتلالهم للجزائر،عندما تبين لهم أن الزوايا هي مركز المقاومة المسلمين الجزائريين. وقد اضطلع الضباط العسكريون في الجيش الفرنسي، المتخصصون في الشؤون الأهلية، ومن بعدهم ضباط المكاتب العربية(les Officiers

du bureaux arabes) بمهمة انجاز الأبحاث والدراسات في هذا المجال، ومنهم العقيد دو نوفو (le colonel De Neveu) الذي ألف كتابه المشهور، تحت عنوان:" الأخوان" Les Khouans[1]. ثم جاء بعده العقيد لوي رين (Louis Rinn) بمؤلفه القيم: مرابطون وأخوان(Marabouts et Khouans)[2] ثم كسفيير كوبولاني (Copolani Xavier) الذي وسع العمل ليشمل جميع الطرق المتواجدة في الجزائر والبلدان العربية والإسلامية، من خلال كتابه: الطرق الدينية الإسلامية (les confréries religieuses musulmane)[3] بالإضافة إلى أعمال أخرى لا تقل أهمية عما سبق ذكره من دراسات وأبحاث هي في الغالب أكثر قربا من الحقيقة وأكثر شمولية في الموضوع. لأنها اعتمدت في عملها على تقارير عسكرية سرية، وعلى أبحاث ميدانية بالتعاون مع بعض الجزائريين العملاء. وقد شملت هذه الدارسات جميع الطرق والزوايا التي كانت تنشط في الجزائر خلال تلك المرحلة، فبحثت في أصولها وشجرة نسبها وسائر فروعها وأتباعها. بل امتدت هذه الدراسات إلى المشرق العربي والعالم الإسلامي بعد مطلع القرن العشرين، بسبب وجود الروابط الروحية المشتركة بين مختلف الطرق الصوفية في العالم الإسلامي التي كانت لا تعرف الحدود السياسية والجغرافية ولا الانتماءات القطرية. وقد برع في هذا المجال المستشرق الفرنسي: لويس ماسينون (louis Massignon) الذي تنقل لهذا الغرض إلى المشرق العربي. بدعم بتشجيع من إدارة الاحتلال في الجزائر. ودعم من الحكومة الفرنسية في باريس خدمة لأهداف السياسة الاستعمارية في الوطن العربي.

وقد تمكن ماسينيون في فترة قصيرة من تكوين علاقات شخصية وروابط سياسية واسعة مع النخب السياسية والثقافية المختلفة في المشرق العربي، هذه

---

[1] De neveu .Les khouans . 3 édition Adolf Jordan Alger 1913.

[2] Rinn louis . marabout et khouans. E . Adolf Jordan . alger 1884

[3] Octave depon et Copolani xavir . les confréries religieuses musulmane e . Adolf Jordan. Alger 1897.

العلاقات قد مكنته من التوغل في الأوساط الثقافية المصرية الفاعلة، فأصبح عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومن هنا بدا يتحرك من اجل الوصول إلى الزوايا الأم وشيوخ الطرق الصوفية الذين يتحكمون التوجيه الروحي للمسلمين، وهي حالة مشابهة لما يحدث اليوم في العالم الإسلامي من حراك ديني سياسي دفع بالدول الكبرى التي لها مصالح في العالم الإسلامي إلى إرسال جواسيس تحت عناوين مختلفة من اجل الوصول إلى معرفة القادة الدينيون الحقيقيون ومخططاتهم وأهدافهم، ونلتمس هذه الأدوار فيما قام به ماسينيون في القرن الماضي من تحرك في مصر، العراق، تركيا، شبه الجزيرة العربية والشام حيث دخل مع قادة الاحتلال الى القدس وبعدها دمشق.

بالنسبة للجزائر كلفت الإدارة الاحتلال خلال القرن التاسع عشر. ما يعرف بالمكاتب العربية لمراقبة نشاط الطرق الصوفية وإرسال التقارير الشهرية عنها إلى الإدارة العامة في العاصمة. وهذا إلى غاية قيام الجمهورية الثالثة في فرنسا سنة 1871. بعد ذلك تحولت هذه المهمة إلى المتصرفين الإداريين . وشرطة المباحث العامة، وسائر الأجهزة الاستخباراتية، وبقيت على هذه الحال حتى استقلال الجزائر في سنة 1962.

وعلى وجه العموم كانت في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي حوالي 22 طريقة صوفية . لكل طريقة زاويتها ورئيسها. وقد بينت هذه الدراسات الاستعمارية . أن بعض الطرق الصوفية، كانت مراكزها الرئيسة في الجزائر، مثل الطريقة الرحمانية، التيجانية والشاذلية . والبعض الأخر كانت مراكزها خارج الجزائر مثل الطرق الآتية : الطيبية: العيساوية والهبرية مراكزها في المغرب . إما الطريقة القادرية فمركزها الرئيسي يقع ببغداد. والأحمدية بالهند... وهذه الطرق هي التي تتحكم في الحياة الدينية والروحية، الثقافية وحتى السياسية . لكل المسلمين باستثناء الاباضيين لأنهم لا يؤمنون بالتصوف، فالطرق الصوفية هي التي توجه السكان حسب تعاليمها ووصايا

شيوخ الكبار وأوامر المقادم، وقد توصلت دراسات الاستعمار الفرنسي إلى فهم العلاقة المعقدة التي كانت تربط بين مختلف الطرق، والعلاقة التي تربط الشيوخ بالمقادم وعلاقة المقادم بالإخوان والشعب، وهي علاقة تحكمها تعاليم وتقاليد دينية وثقافية .

وقد حاول الاستعمار الفرنسي توظيف هذه المعرفة في لخدمة أهدافه الاستعمارية في الجزائر وشمال إفريقيا منذ مطلع القرن التاسع عشر حيث عمل بكلة وسائله الممكنة السيطرة على الطرق وتسخيرهم لخدمة مخططاته ومشاريعه السياسية، ومن أهم الوسائل التي كان يستخدمها في ذلك:

1 – التدخل في شؤون الزوايا، فعندما يتوفى شيخ أي زاوية تقوم الإدارة بتشجيع الأشخاص الأقل علما وحلما وفطنة لتولي المشيخة حتى تسهل السيطرة عليهم، وكثيرا ما كانت الإدارة الاستعمارية تتدخل لإثارة الفتنة بين الورثة سواء حول المشيخة أو الممتلكات كالأرض مثل ما حدث في زاوية الهامل بعد وفاة مؤسسها سنة1897 [1] أو ما حدث بين ورثة زاوية سيدي خليفة قرب قسنطينة قبيل الحرب العالمية الثانية والقائمة طويلة في هذا المجال.

2– الإغراء بالأموال والمساعدات والتكريمات والتوسيمات في مختلف المناسبات، وكانت مختلف الأوسمة التي تمنح لبعض الشيوخ تعمل على زيادة شعبيتهم ومكانتهم الاجتماعية لدى السكان وكذلك توفر لهم حصانة لدى الإدارة الاستعمارية على. فعلى سبيل المثال وباقتراح من أجهزة المخابرات . قرر الحاكم العام في الجزائر سنة 1953، توزيع مبالغ مالية لعدد من شيوخ الطرق بولاية قسنطينة

---

[1] – محمد شرقي :الطريقة الرحمانية ودورها في المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي 1832–1881 رسالة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة 1996 ص :102

كل حسب مقامه ونفوذه، ثم أمر والي الولاية بتطبيق هذا الأمر وهو ما حدث فعلا وسط أجواء سياسية متوترة بسبب ثوريي تونس والمغرب[1].

3- تولي المناصب الإدارية على كل المستويات وفي مختلف المجالس والهيئات. كالجمعية الوطنية عن طريق التعيين ودون انتخاب حيث كانت هذه المجالس تتزين بهؤلاء الشيوخ الذين يدعون أنهم يمثلون الإسلام والمسلمين في الجزائر دون غيرهم، لكن التيار الاستقلالي ثم الثوري في الحركة الوطنية، قد لعب دورا رائدا في تنمية الوعي السياسي الوطني، حتى أصبح هؤلاء الشيوخ مجرد هياكل مسندة . أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد ساهمت بالدور الرئيس في إضعاف نفوذ الزوايا التي كانت تعتبرها العدو الأكثر خطورة على الشعب الجزائري، كما كانت تتعتهم في وسائل الإعلام : بحيوانات الاستعمار المدجنة[2]. لذلك سعت بكل ما لديها من إمكانيات ووسائل لتعريتهم من مظاهر القداسة التي كانت تحيط بهم، ومن سائر أشكال الجمود والضلال الذي يمارسونه في المجتمع الجزائري المسلم وبدعم من الإدارة الاستعمارية.

والحقيقة أن الصراع كان قويا ومريرا بين الطرقين والإصلاحيين طيلة عقود من الزمن. وقد عبر عنه أحد شيوخ الطرقية بقوله : لقد أفلسناهم عند الإدارة الاستعمارية، وهم أفلسونا عند الشعب، لذلك تحول عدد كبير من أتباع الطرقية وأنصارها إلى جمعية العلماء أو إلى الحركة الوطنية، والبعض الأخر أصبح مزدوج الانتماء، وقد أتسم هذا التحول بالسرية الكاملة، لكل ذلك يمكن القول أن نفوذ الطرق الصوفية وأثرهم السياسي المزين بالدين في المجتمع الجزائري. قد أصبح ضعيفا

---

[1] Centre des archives d outre mer Aix-En- Provence. Cote 93/4492 dossier Amor belhamlaoui lettre du gouvernement général de l Algérie a Mr le préfet de Constantine S.L.N.A date le 5 nov. 1953.

[2]- شارل أندري جوليان : إفريقيا الشمالية تسير. ترجمة المنجي سليم وآخرون الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1976 ص 167.

ومحدود قبيل اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبرسنة 1954. ففي هذا الوقت الذي كان فيه شيوخ الطرق يفقدون السيطرة على قيادة المجتمع الجزائري والشمال إفريقي. كانت رياح التحرر تهب بقوة على الأجواء الإقليمية والعالمية خاصة في المشرق العربي وشمال إفريقيا بسبب ثورتي تونس والمغرب اللتين اندلعتا مع بداية سنة 1952، وكانت أصداء أحداث الثورة في البلدين المجاورين تتردد بقوة خاصة في الجزائر عن طريق وسائل الإعلام المختلفة: ثم تنتشر الأخبار بقوة في المدن أو الأرياف، وهذا ما دفع السلطات الاستعمارية إلى التحرك بسرعة للحفاظ على سكون واستقرار الجبهة الداخلية لوسط الشمال الإفريقي؛ أي الجزائر، حتى لا تضيف متاعب جديدة للحكومة الفرنسية التي كانت تحاول البحث عن حلول لمشكلتي تونس والمغرب، خوفا من تكرار مأساة ديان بيان فو أخرى بشمال إفريقيا، لكنها في نفس الوقت كانت ما تزال، تعتقد أن الطرق الصوفية تعتبر من أهم الأوراق السياسية التي يمكن استغلالها لضرب حركة التحرر في شمال إفريقيا بصفة عامة . والحفاظ على الجزائر بصفة خاصة .لهذه الأسباب وغيرها تحركات الإدارة الاستعمارية ووضعت إستراتجية لإقحام الطرق في هذه المواجهة الخطيرة، وقد أتضح هذا العمل من خلال هذه النماذج أولا:

اجتماع خلال الأسبوع الثالث من شهر فيفري سنة1953. برئاسة عبد الحي الكتاني في فاس بعدد منشيوخ الطرق الصوفية من الجزائر[1]، وفي الخطوة الثانية قام بزيارة خاصة إلى الجزائر العاصمة في27 فيفري من نفس السنة، ولم نتمكن من الاطلاع على موضوع الاجتماع، ولا على هدف هذه الزيارة. ولكن الذي نعرفه أن عبد الحي الكتاني كان يترأس جامعة الزوايا لشمال التي تأسست في سنة 1938 بدعم فرنسي. وقد تم تجديدها في يوم 15 مارس سنة 1948 بالجزائر، حيث توسعت لتشمل 120 رئيس زاوية من مختلف الطرق الصوفية في الأقطار الثلاث تونس،

[1] – C.A.O.M Cote 93/4297. Dossier Amor belhamlaoui S.L.N.A N 612/nac Renseignement confidentiel date 2 mai 1953.

الجزائر، المغرب. وتنص المادة الثانية من قانون هذه الجامعة على المحافظة الكلية على الدين الإسلامي وتعاليمه وعلى القرآن والأحكام الشرعية. هذا في الظاهر، وفي الباطن كانت جامعة محافظة تحارب الحركة الوطنية، وجمعية العلماء وسائر الإصلاحيين في شمال إفريقيا[1] وقد أستغل عبد الحي هذا المنصب فكان يقوم دوما بجولات شبه دورية إلى الجزائر ليتفقد الزوايا واحدة بعد أخرى. وفي نفس الوقت يقيم كل سنة حفلا بمناسبة المولد النبوي في فاس يدعو إليه سائر الشيوخ الذين ينتمون إلى الجامعة التي يرأسه، وبقي هذا النشاط قائما حتى قيام ثورة التحرير المباركة في نوفمبر سنة 1954، أما مواقف الشيخ عبد الحي المعادية لإرادة التحرر، فقد اتضحت بكل جلاء عند ما عزل السلطان محمد الخامس في يوم 20 أوت سنة 1953، حيث بارك هذا العزل قائلا لأتباعه: ستعرفون يوما ما: أن السلطان محمد الخامس أخطر على الشعب المغربي من الاستعمار الفرنسي. ثم تحركت الحكومة الفرنسية من جهة أخرى فحركت أحد كبار شيوخ الزوايا في الجزائر. للقيام بجولة استطلاعية إلى المغرب. لمعرفة الأوضاع كما هي والمتمثلة في موقف الشعب من الثورة ومن الملك الجديد وكذلك نفوذ الحركة الوطنية التحررية... أنتقل الشيخ من الجزائر إلى المغرب للاتصال بأتباعه أولا، ثم محاولة جس النبض في الأماكن التي زارها، لكن الشعب أستقبله بعاصفة من الاحتجاجات، فتحول إلى مدينة خنيفرة أين اكتفى بوضع إكليل من الزهور عى نصب الأموات الذين قتلوا من أجل الاتحاد الفرنسي، في معركة ديان بيان فو بالفيتنام. ولما رجع الشيخ إلى الجزائر، قدم تقريرا مفصلا ودقيقا عما رآه في المغرب إلى الحاكم العسكري لإقليم الجنوب الجزائري، وحسب رأينا يعتبر هذا التقرير مهم للغاية لما ورد فيه من حقائق حول الوضع القائم في المغرب بصفة خاصة . ولهذا سنعرض أهم ما ورد في:

---

[1]– صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر .تاريخها ونشاطها دار البراق بيروت2002 ص: 603

الحمد لله وحده وبه نستعين من (س)إلى سعادة المدير لموطن الجنوبي السيد كلاس:

سلاما واحتراما... في هذه الأيام القريبة سنتوجه إلى الجزائر ونمر عليكم...

أولا: لما هو جاري في المغرب من الحوادث الخطيرة الدامية. أنها تجري في كل يوم وازدياد على الفرنساويين وأصدقائهم من المسلمين، وغيرهم وإذا دامت هذه الحوادث في هذه الحالة، لم يبقى في المستقبل أحد صديق لفرنسا... حتى من أولادها والسبب في ذلك هو القتل من أيد الإرهابيين وعجز الحكومة على فهمهم... الكثير من الرجال الأعيان المسلمين، وغالبهم تباعدوا عن الحكومة خوفا على أنفسهم. والبعض من الباشاوات والقواد والخلفاء منهم غادروا المغرب إلى فرنسا. ومنهم من يفكر في التخلي عن الوظيفة. والبعض منهم لا يقدروا على القيام بالواجب في خدمتهم مع قبائلهم، أما بالنسبة للاتحاد. فمازال ساريا ما بين العرب والبربر... الناس لا يعبدوا ولا يصلوا في العيد الكبير حزنا على خلع السلطان محمد بن يوسف وغالب الناس امتثلوا لكلامهم حتى في البوادي الوطنيون لهم دعاية ناجحة في جميع قلوب لمسلمين، وهي قولهم أن السلطان محمد بن يوسف ليس عدوا لفرنسا، ولا تعرض لها في شيء، ولازم الحكومة تداوي هذا الحال. يوم 28 أوت 1954 (ختام وإمضاء)[1].

ولا شك أن أهم ما ورد في هذا التقرير هو: تصاعد المد التحرري في المغرب وارتباطه بالشعب. وانهزام القوى المحافظة والعميلة للاستعمار الفرنسي، وتمسك الشعب المغربي بالملك محمد الخامس كملك شرعي للبلاد بالإضافة إلى الوحدة بين

[1] – C.A.O.M. Cote 16h59 dossier ;Territoire de Touggourt annexe de l'oued lettre de cheikh sidi ben amor ben sidi Mohamed elkabir etijani date le 28 aout 1954.

العرب والبربر، لان الإدارة الاستعمارية كانت تراهن دوما على التفرقة العرقية والمذهبية في شمال إفريقيا لضرب وحدة الشعوب.

ثانيا– السياسة الاستعمارية تجاه الطريقة الرحمانية بعد اندلاع الثورة الجزائرية 1954:

تعتبر الطريقة الرحمانية من أكثر الطرق انتشارا في الجزائر، سواء من حيث عدد أتباعها أو من حيث عدد زواياها وشيوخها، وهي تتركز بصفة خاصة في إقليم الشرق الجزائري، وتتميز بفهم أقرب إلى جوهر الإسلام الصحيح، وقد تحملت عبئا كبيرا في تعليم القرآن الكريم، واللغة العربية بدون مقابل، ومن ناحية أخرى كانت ترفض الشعوذة والخرافات وسائر أنواع التحذير والتضليل المنتشرة عند أغلب الطرق الأخرى.

وقد كانت هذه الطريقة سباقة إلى الوقوف مع الأمير عبد القادر في مقاومته. والعمل تحت لوائه من سنة 1832 إلى غاية توقف جهاده في أواخر سنة 1847، ثم أطرت وقادت أغلب الثورات الشعبية التي حدثت بعد الأمير، منذ سنة 1849 وحتى قيام ثورة عين توتة في سنة 1916، كما قاومت حركة التبشير والفرنسة طيلة سنوات الاحتلال، وبالتالي أصبحت لديها خبرة معتبرة في الثورات الشعبية، وتاريخا مشرفا في المقاومة الوطنية ضد الاحتلال.

ومن هذه الاعتبارات أصبحت الطريقة الرحمانية في تقدير الإدارة الاستعمارية أكثرا لطرق تقربا من الحركة الوطنية الاستقلالية والثورية،، وهو ما جعلها تتوسع في الانتشار حتى وصل عدد أتباعها في الجزائر وتونس، إلى أكثر من خمسة ملايين من الأخوان ومن المتعاطفين معها في منتصف القرن العشرين، لهذه الأسباب وغيرها كانت الطريقة الرحمانية: هي الطريقة المؤهلة بوزنها ومكانتها، للعب دور مؤثر في ثورة التحرير المباركة، ونظرا لكثرة الزوايا الرحمانية وتنوعها، سنركز على نماذج من هذه الزوايا.

ثالثا- دور زاوية بلحملاوي وبعض زوايا الشرق الجزائري في الثورة :

كانت سياسة الإدارة الاستعمارية في الجزائر تعتمد على المراقبة الشديدة والصارمة للنخب الدينية والسياسية والثقافية بكل الوسائل والطرق الممكنة، في محاولة لدفعها في السير نحو الاتجاه الذي يخدم الأهداف الاستعمارية. كما كانت في نفس الوقت تقوم بتعبئة وتجنيد هذه النخب، لمباركة وتدعيم المشاريع السياسية التي تطرح للمسلمين الجزائريين، وفي مقابل ذلك كانت تتجنب المواجهة معها. وتسمح لها بممارسة هامش من الحرية والتمتع ببعض الامتيازات الإدارية، ومن هذه المنطلقات السياسية الهامة وعلى ضوئها كانت الإدارة الاستعمارية، ترسم سياستها وتضع حساباتها، تجاه الطرق الدينية والنخب بصفة عامة، بعد الثورة. لكن القيادات العسكرية الفرنسية والمتطرفين الأوروبيين بعد سنة 1958 غيروا أسلوب التعامل مع النخب الدينية المسلمة، فأصبحوا ينظرون إلى كل مسلم جزائري على أنه عنصر إرهاب وعدو لا يمكن الوثوق فيه، وبالتالي تغيرت المعادلة بالكامل، وعلى ضوء هذه المعطيات سنعالج موقف الإدارة الاستعمارية من دور الطريقة الرحمانية في الثورة الجزائرية.

لقد أثبتت التقارير الاستخباراتية والإدارية التي وصلت إلى الحاكم العام أثناء انتخابات سنة 1948 وسنة1951 أن أغلب أخوان الطريقة الرحمانية قد انتخبوا أو تعاطفوا مع التيار الاستقلالي، خاصة أتباع زاوية بلحملاوي التي كان أتباعها ينتشرون بالآلاف في إقليم الشرق الجزائري . ومن الزوايا الرحمانية الأخرى التي كانت لها أدوار محورية في الطريقة الرحمانية: كزاوية طولقة قرب بسكرة، زاوية الهامل، زاوية أولاد جلال... بالاضافة الى فروع هذه الزوايا .

والحقيقة أن زاوية بلحملاوي تحت قيادة الشيخ عمر بعد الحرب العالمية الثانية . قد أصبحت تلعب دور الزاوية الأم للطريقة الرحمانية. كما انغمست في العمل السياسي مع التيار الوطني الاستقلالي . وربما لهذه الأسباب حركت السلطة

الاستعمارية عبد الحي الكتاني الذي عرض ابنته على الشيخ عمر بلحملاوي، الذي كان يدعم التيار الاستقلالي فتزوجها الشيخ عمر سنة 1951، وقد يكون الهدف من هذا الزواج السياسي تشديد الرقابة على نشاط الشيخ عمر، ثم قدم الكتاني دعوة لشيوخ الطريقة الرحمانية ومقاديمها وبعض الأعيان من إخوانها . لحضور الزردة التي أقامها بزاويته في مدينة فاس يوم 5 أكتوبر 1952، وقد سافر لحضور هذه الزردة حوالي أربعين 40 شخصية من الطريقة الرحمانية بالشرق الجزائري[1]، لكن الشيخ عمر بلحملاوي رفض المشاركة أصلا في هذه الزردة التي قد تكون لهدف سياسي، خاصة وان رياح التحرر قد هبت على شمال إفريقيا من خلال ثورتي تونس والمغرب، ولكن هذا الرفض قد أثار غضب الشيخ عبد الحي الذي أسرع الى تطليق ابنته من الشيخ عمر ولهذا الغرض أرسل ابنه إلى قسنطينة للعودة بابنته عن طريق القطار، وهو ما حصل فعلا وبذلك تخلص الشيخ عمر نهائيا من الكتاني ومن تدخلاته في شان الطريقة الرحمانية.

وقد بينت التقارير السرية الاستعمارية أن الشيخ عمر بلحملاوي قد اظهر ارتياحه بعد فك ارتباطه بابنة الشيخ عبد الحي، في أول ديسمبر 1954 أي بعد اندلاع الثورة بشهر واحد أوردت مصالح الربط لشمال إفريقيا بولاية قسنطينة تقريرا يحمل عبارة سري للغاية حول زاوية بلحملاوي، ذكرت فيه: أن بلحملاوي بعد انتخابات سنة 1948 أستطاع أن يحرك بسهولة في 48 ساعة 18 ألف من أتباعه الذين قدموا إليه من المدن التالية: سوق أهراس، سكيكدة ،بجاية، بوسعادة، العاصمة... وهو عدد هام يغطي رقعة جغرافية واسعة تشمل الشرق الجزائري والوسط. كما زارت الزاوية أهم الشخصيات السياسية البارزة في ذلك الوقت منهم : لمين دباغين، شوقي مصطفاي ،عباس فرحات، بن جلول محمد الصالح، أحمد بحي،

---

[1] C.A.O.M. Cote 93/4297. Dossier rapport du P.R.G deConstantine a M le Préfet de Constantine N°7640/rgg date 3 octobre 1952 .

بن باحمد بلباي الشريف، نارون... وأوردت في تقارير أخرى سرية كذلك أن أخطر عناصر حزب الشعب وهم: عمار بوجريدة، أحمد بودة والشاذلي المكي قد زاروا بلحملاوي، كذلك السعيد الزاهري الذي طلب منه بلحملاوي أن يزوده بـ 500 نسخة في كل طبعة من الجريدة التي يصدرها[1]. والتي تسمى المغرب العربي وهي قريبة جدا من حزب الشعب، واد لم تبين التقارير السرية فحوى مختلف الزيارات التي حظيت بها الزاوية الحملاوية، فان حجم الشخصيات الزائرة يدل على أنه ليس لزاوية مكانة دينية فقط وإنما لها مكانة سياسية، ودور مؤثر في الرأي العام المسلم بالجزائر، كما أوردت التقارير السرية أسماء أهم الزوايا المرتبطة بزاوية بلحملاوي منها: زاوية بوحجر في أولاد ناصر أم البواقي، زاوية سي علي بن الصادق وزاوية عجرود عين أمليلة ،زاوية النوي بن عبد الله عين أسمارة، زاوية الشيخ مرداسي عبد القادر في أولاد عبد النور، زاوية سيدي لخضر في الخروب، زاوية الحاج إبراهيم معمر في أولاد رحمون زاوية بن خليفة مختار واد سقان، زاوية الشيخ ناجي إسماعيل في واد العثمانية...[2].

رابعا- موقف الشيخ عمر بلحملاوي من 20 أوت ومن برنامج الحاكم العام :

سوستال :

دائما حسب تقارير الاستعلامات الفرنسية أن الشيخ عمر قد أرسل في شهر فيفري سنة 1955 . المقدم شريط عبد الرحمن من دوار معاش في أم البواقي، إلى منطقة سوق أهراس لمعرفة الجو السائد هناك، ومعرفة وضعية أتباعه، وفي تقرير آخر خلال شهر أفريل من نفس السنة ذكر: أن قلق الشيخ عمر يزيد شيئا فشيئا بسبب الوضع القائم في الجزائر.

---

[1]- C.A.O.M. Cote 93/4297 dossier S.L.N.A note de renseignement N° 75 mac date du 18 janvier 1952.

[2]- C.A.O.M.. Cote 93/4492. Dossier amor belhamlaoui Renseignement S.L.N.A N° 936 date du 7 août 1948.

أما في يوم 16 جوان سنة 1955 فقد وجه الحاكم العام جاك سوستال برقية إلى والي قسنطينة، يطلب منه استدعاء الشيخ عمر لاستعماله ضد الوطنيين وتشجيعه على السير في المسعى السلمي، لما له من تأثير كبير في الأوساط الإسلامية بولاية قسنطينة(1). لكن الشيخ عمر كان وطنيا في سره، وأحيانا لا يخفي مواقفه ومشاعره تجاه ما يحدث في الجزائر من تطورات وأحداث خاصة مشروع سوستال وهجمات 20 أوت 1955 في القطاع القسنطيني، وما أفرزته من نتائج سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، حيث قدم شكوى واحتجاج إلى والي قسنطينة حول عمليات القمع والاعتقال التي تعرض لها بعض مقاديمه وأتباعه في منطقة سكيكدة، منهم المقدم علي الوناس والعربي والحسين بالقل الذين تعرضت ديارهم للنهب والحرق من طرف الجيش الفرنسي(2).

كما بعث برسائل إلى المسؤلين في الحكومة الفرنسية، يطلب استفسارا عن صيغة الإدماج في مشروع سوستال، مؤكدا على رفضه لكل ما يخالف شخصية الجزائر الإسلامية. وهو موقف لم يستطيع أي سياسي مسلم في ذلك إعلانه صراحة. وأستنكر الشيخ عمر أعمال البطش والقمع التي تعرض لها المسلمون. لكن الصحف الاستعمارية في الجزائر حرفت مواقفه وأبرزت على صدر صفحاتها أن الشيخ بلحملاوي يدين القتل والإرهاب، في إشارة لهجمات 20 أوت 1955.

ولا شك أن الصحف كانت تعرف ما للشيخ من تأثير على أتباعه وعلى الرأي العام الجزائري المسلم. وهو ما دفعه إلى الغضب والرد على الصحافة مكذبا ومستنكرا ما كتبته. وقدم مع رسالته صورة لنص البرقية التي أرسلها إلى الحاكم العام، حتى لا يبقى أي التباس أو غموض حول موقفه السياسي مما يحدث في الجزائر.

1- C.A.O.M. Cote 93/4297 dossier S.L.N.A. lettre du Gouvernement General a Mr le Préfet de Constantine date 16 juin 1955.

2- C.A.O.M. Cote 93/4492 dossier S.L.N.A N° 2021 A Mr le préfet de Philippeville date 10 août 1955.

وفي يوم 31 أكتوبر 1955 قدمت الأجهزة السرية، معلومات حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في الزاوية الحملاوية يوم 26 أكتوبر وما جاء فيه: "لقد حضر إلى الزاوية أتباع من المدن الآتية: خراطة، بجاية ،قالمة، الطاهير، جيجل، فج أمزالة ،عين أمليلة، البويرة، أومال... وعقد اجتماع حضره ما بين 450 إلى 500 مقدم منهم الحاج الطيب بوراس من قسنطينة، سي الطيب كعباش مفتش المعهد الكتاني ،بن عبدة من الحروش، سلامي من عين أعبيد. أما السعيد الزاهري فقد اعتذر وسافر إلى العاصمة... بعض ما قاله بلحملاوي لمقاديمه: أنا رجل مسلم وأريد أن أموت مسلما ،فأنا منحدر من سلالة الرسول... فرنسا انتهت هنا، لا تخافوا أبدا أنها بقيت 120 سنة، وستذهب وستكون الجزائر تحت نظام حر... كل إنسان في هذا العالم له الحق في الدفاع عن الحرية...ثم أوصى المقادم بتوخي الحذر الشديد، من رجال الاستخبارات الذين يريدون معرفة مواقفنا الحقيقية..."[1].

ونعتقد أن هذه المناسبة الدينية كان لها هدف سياسي بالدرجة الأولى لأنها متزامنة مع الذكرى الثانية لاندلاع ثورة التحرير المباركة، كما أن اجتماع الشيخ عمر بالمقادم الذين يعتبرون قادة ومسيرين للإخوان . ونواب عنه في مختلف المناطق، أمر في غاية الأهمية خاصة وان المقادم يطبقون دائما أوامر الشيخ وتعاليمه دون نقاش، سواء تعلق الأمر بالشؤون الدينية أو السياسية، وفي سنة 1956 قدم جزائريان مسلمان، معلومات إلى الإدارة الاستعمارية حول دور الشيخ عمر بلحملاوي، في هروب بعض المجندين في الجيش الفرنسي خاصة فرقة الرماة بتلاغمة[2] قد شدد الفرنسيون الرقابة على الشيخ لمعرفة الحقيقة في هذا الأمر . وقد جاءت الفرصة بعد معركة في عين أسمارة التي تمكن الجيش الفرنسي خلالها من اعتقال المسمى بن خليفة

1- C.A.O.M Cote 93/4297dossier S.L.N.A N°1441/nac Note de Renseignement date 31 octobre 1955 .

2- C.A.O.M . 93/4297 dossier S.L.N.A. Rapport de m le commissaire chef de brigade mobile de Constantine a m le commissaire principal de Constantine N° 7857 date23 juillet 1957.

ميلود في الزاوية. حيث كان مكلف بالاتصالات بين المجاهدين وشيخ الزاوية؛ كما القي القبض بعد ذلك في الزاوية على المسمى بوترعة الشريف بن محمد من طرف جنود الفيلق الرابع عشر للمشاة في شاطودان الرمال[1] وبعد تعذيب واستجواب المقبوض عليهم تأكدوا أن الزاوية قد وضعت نفسها في خدمة الثورة، وعلى هذا الأساس أصبحت وحدات الجيش الفرنسي في المنطقة لا تراعي حرمة الزاوية ومكانتها الدينية المهابة. فكان الجيش يقوم بتفتيش الزاوية في أي وقت أراد. وقد تكون هذه الحوادث وغيرها، سببا في قيام الإدارة الاستعمارية بمتابعة الشيخ عمر قضائيا وحجز بعض أملاكه بدعوى عدم دفع الديون المترتبة عليه، وقد طبق الحجز فعلا على بعض ممتلكاته في يوم 26 جانفي سنة 1957 ثم البيع بالمزاد العلني [2] والمعروف أن الإدارة الاستعمارية تلجا دوما لسيف القضاء من اجل معاقبة المناضلين والوطنيين والتضييق عليهم .

خامسا –موقفه من تعيين الجنرال ديغول بعد 13 ماي 1958 :

حول هذا الموقف لم نتمكن من العثور على وثائق رسمية في العلب التي اطلعنا عليها حول زاوية بلحملاوي وإنما عثرنا على سوى قصاصة من جريدة: البرقية القسنطينية:

"la dépêche de Constantine " ليوم 1958/9/26 حيث كتبت عنوانا: الشيخ بلحملاوي ينتخب بنعم ثم ذكرت أن الشيخ قال: أنا رجل دين وتصوف، شعاري الجوهري هو النزاهة في السيرة، الصدق في القول والإخلاص في العمل وأذكر بمناسبة تعيين الجنرال ديغول على رأس الحكومة الفرنسية أن له خصال حميدة والعبرة في

---

[1]- C.A.O.M . cote 93/ 4297 S.L.N.A dossier rapport secret de lieutenant colonel De Boissieur du 14 division infanterie section de Constantine quartier de Châteaudun N° 1592/qch/2 date 29 mai 1958 .

[2]- C.A.O.M . Cote 93/4492. Dossier amor belhamlaoui lettre Secret N° 36 de chef S.L.N.A Constantine a M le colonel S.L.N.A Alger date 12 janvier 1957.

التاريخ، وما قدمه للمسلمين في سنة 1945، ثم أضاف لقد استجاب عندما طلبنا منه إصدار عفو على المسلمين وفعل ذلك[1].

سادسا – تعرض الزاوية الحملاوية للنهب والتخريب:

جاء في تقرير سري لمصالح الاستعلامات بولاية قسنطينة، أن الإمام مهري إمام مسجد واد زناتي هو شقيق وزير شؤون شمال إفريقيا، في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، قد زار بلحملاوي يوم 19 نوفمبر 1958. من الساعة 9 صباحا إلى غاية الساعة 1.30 دقيقة ولا نعرف سبب الزيارة أو ما دار من حديث بين الرجلين[2]... والمعروف أن الإمام مهري يتبع الطريقة الرحمانية، وهو من الشخصيات التي يثق فيها الشيخ عمر. وبعد شهر من هذه الزيارة، ذكر تقرير أخر: أن الشيخ عمر قد تلقى مبلغ 500 ألف من طرف جبهة التحرير الوطني، وهذا من اجل تصليح جراره المعطل. لذلك طلب التقرير ضرورة مراقبته مراقبة شديدة وكذلك أفراد عائلته مثل الحاج عبود ورشيد ([3])، وفي هذا المجال يجب أن نذكر أن بعض أفراد العائلة الحملاوية . قد التحقوا بالثورة مثل عبد المجيد الذي كان طالبا في الزيتونة وغيره .

بعد تعدد الحوادث والمداهمات للزاوية وضع الشيخ عمر تحت الضغوطات، في الإقامة الجبرية في حمام عرب عند عند مصباح يحي ب6 شارع الزواف قسنطينة . وقد رصدت الاستعلامات الفرنسية في منتصف أفريل سنة 1961 زيارة أخرى لمهري مولود الذي وصفته الاستعلامات بمفتي الولاية لجبهة التحرير

1- Centre des archives d'outre mer Aix-En- Provence. Cote 93/ 4297. dossier préfecture de Constantine section des affaire politique Renseignement Secret N° 825 date 13 nov. 1958.

2- C.A.O.M cote 93/ 4297. Dossier Préfecture de Constantine cabinet section des affaires politique Renseignement Secret N° 844/cab/civ/pol date de 21 nov. 1958.

3- IBID N° 913 date 16 déc. 1958.

الوطني. ومسؤول سياسي على منطقة حمام المسخوطين بعد الساعة 14 من اليوم المذكور سابقا[1]. وهذا دون تفاصيل أخرى عن هذه الزيارة .

ونعتقد أن العمليات الكبرى للجنرال موريس شال منذ سنة 1958، وسيطرة العسكريين على الحياة العامة في الجزائر. لم يسلم منهم أي مكان ولو كان للعبادة. فالزاوية التي كانت مكانا مقدسا قد تعرضت للتخريب في سنة 1958 ثم تعرضت للنهب في سنة1961.

والحقيقة أن الزاوية الحملاوية كانت زاوية وطنية مناضلة ومجاهدة . لعبت دورا لم ترقى إليه أي زاوية أخرى في الجزائر، ونعتقد أن أهم دور قام به الشيخ عمر هو افتتاح المعهد الكتاني بقسنطينة لأبناء الفقراء في سنة 1946، حيث عقد اتفاقا مع جامع الزيتونة في تونس والأزهر بمصر . لقبول طلبة المعهد بعد إتمام الدراسة في الكتانية، والكثير من طلبة هذا المعهد قد التحقوا بالثورة الجزائرية بعد اندلاعها، وتمكن بعض هؤلاء الطلبة من الوصول إلى مراكز القيادة للثورة الجزائرية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: هواري بومدين، علي كافي...

زاوية أولاد جلال : أسسها الشيخ المختار وتعتبر هذه الزاوية الثانية من حيث الأهمية بعد زاوية طولقة في منطقة الزيبان في بعض الأحيان وصل عدد زوارها إلى 4000 فرد [2]، ومنذ دخول الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر . وهي متمردة عليه ومقاومة له. وحول دور هذه الزاوية في الثورة نقدم نماذج لبعض التقارير السرية للمنطقة العسكرية بغرداية. التقرير الأول من مركز الجلفة مؤرخ في يوم 26نوفمبر سنة1956 جاء فيه: من مصدر موثوق ومؤكد أجنبي عن المنطقة: أن المرابو سي خالد في الجنوب الجزائري منطقة أولاد جلال ،بوسعادة، الجلفة ،الأغواط أن الشيخ يذهب إلى تونس عند الحكومة التو..رة لتوفير الأسلحة للمتمردين في قطاعه...وان

---

[1]- C.A.O.M cote 93/4297. Dossier S.L.N.A. S.A.U du Rhimel N °24/s r Note de Renseignement date de 15 avril 1961.

[2]- C.A.O.M cote 16h59. Dossier GGA C.M de Touggourt Note de renseignement date de 10 juin 1956.

هذا المخبر الذي قدم لنا المعلومات هو نفسه الذي أخبرنا في السنة الماضية حول نشاط مرابو في الجلفة . إمضاء متصرف مركز الجلفة "chemorin"[1]

التقرير الثاني سري للغاية من مركز أولاد جلال بتاريخ 10أفريل سنة 1956. بعنوان ورقة معلومات ورد فيه : الشيخ نعيم النعيمي بن أحمد أصله من أولاد جلال. عضو في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين علم في مدرسة بن باديس، قد وصل يوم السبت 7 أفريل سنة 1956 إلى سيدي خالد وزار أخيه الجمعي مسعي بن محمد في يوم الأحد 8 أفريل. وتغذى في أولاد جلال عند مختاري الحاج خالد شيخ الزاوية. ثم أنتقل يوم 9 أفريل إلى الصحراء عند الحراكتة جميع الذين قابلهم هذا الرجل المشبوه قد تم استدعائهم راقبوا باهتمام هذا الشخص... إمضاء المتصرف : Navarre [2]

وهناك تقارير أخرى من عدة مراكز كالاغواط، تؤكد على وجود علاقة وثيقة بين الشيخ مختاري بالثورة الجزائرية. وفي هذا السياق أوردت مصالح الاستعلامات الفرنسية الخارجية تقريرا سريا يوم 14 أفريل سنة 1956، حول سفر الشيخ مختاري لأولاد جلال وعثمان حاج عبد رحمان إلى المغرب لمقابلة السلطان محمد الخامس. ولا يعرف سبب هذه الزيارة هل هي سياسية لتهنئة الملك على عودته من المنفى ام لتهنئة الملك بالاستقلال أم لشأن أخر ؟ والمعروف ان الملك محمد الخامس رحمه الله كان من أكثر الرجال الذين دعموا الثورة الجزائرية ووقفوا معها بإخلاص حتى وفاته .

زاوية نفطة: تمثل الوحدة والانصهار الكامل بين بين شعبين شقيقين الجزائري والتونسي وهي زاوية رحمانية لعائلة بن عزوز، حيث تأسست الزاوية لأول مرة في برج بن عزوز قرب بسكرة خلال السنوات الأولى للاحتلال، ثم انتقلت إلى نفطة بجنوب تونس بعد احتلال بسكرة من طرف الفرنسيين سنة 1844. وقد كان لهذه الزاوية دورا عظيما في نشر التعليم بالجنوب التونسي وفي العمل السياسي والثقافي، ومن أهم

---

[1]- C.A.O.M Cote 16h59 GGA Dossier territoire militaire de Ghardaïa annexe de Djelfa Secret fiche de renseignements N °765/5 date le 27 nov. 1956

[2]- C.A.O.M Cote 16h59 GGA dossier annexe ouled Djalal Secret fiche de renseignements n° 140/s date le 10avril 1956.

أعلامها المكي بن عزوز، ومصطفى بن عزوز، كذلك الشيخ الخضر حسين الذي أصبح شيخا للأزهر. وقد كان لهذه الزاوية دور مشرف في دعم الجزائر أثناء مقاومة الاحتلال الفرنسي وأثناء ثورة التحرير الجزائرية، وقد كانت تحت المراقبة من طرف المصالح الفرنسية، حيث وردت حولها العديد من التقارير، بسبب دعمها للثوار. اخترنا تقريرا صادرا عن المنطقة العسكرية بتقرت في يوم 17 نوفمبر سنة 1956 ورد فيه: أن الزاوية الرحمانية في نفطة أصبحت سكن للاجئين من المتمردين الذين تمركزوا في منطقة الجريد... وهي نقطة اتصال بين تونس وواد سوف، وكل مرسل يمر عليها ذهابا وإيابا... إمضاء: "lieutenant colonel Henri thomas".[1]

والحقيقة أن زاوية نفطة كانت وبقيت وطنية تقف إلى جانب الجزائريين في محنهم وتقدم لهم المساعدة في الظروف الصعبة، وكانت طوال سنوات الثورة نقطة عبور والتقاء للمجاهدين، الذين يتنقلون في الجنوب التونسي نحوى ليبيا، وقد خفت عنها المراقبة الفرنسية بعد استقلال تونس، وانسحاب القوات الفرنسية منها سنة 1958.

زاوية طولقة : تعتبر زاوية طولقة أهم وأقدم زاوية رحمانية في منطقة الزيبان بعد زاوية البرج لبن عزوز كما أنها تمتاز بالعمل التعليمي والعلمي أكثر من العمل السياسي، حيث لا يقل عدد الطلاب فيها دوما عن 150 طالب من مختلف المناطق، إلى جانب وقوفها ضد سياسة الإدارة الاستعمارية للفرنسة والتبشير في الجزائر، ومع ذلك تنغمس أحيانا في السياسة . وكواحدة من الزوايا الرحمانية فقد كانت لها علاقة مباشرة بمقاومة احمد باي، والشيخ بوزيان وثورة عين توتة سنة 1916، ولكن حسب التقارير الفرنسية فان زاوية طولقة . كانت لديها ميول إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

---

[1]- **Centre des archives d outre mer Aix-En- Provence cote 16h59 GGA. Dossier territoire militaire du Touggourt fiche de renseignement n 2330/526 date 20 nov. 1956.**

أثناء ثورة التحرير الجزائرية كانت الرقابة مشددة على الزاوية، ونشاط أفراد العائلة التي تشرف عليها من طرف مختلف الأجهزة الاستخباراتية والإدارية، فمن الصعب التوصل إلى معرفة طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين شيخ الزاوية وأتباعه بسبب السرية الكبيرة التي تتحكم في هذه العلاقة، ومع ذلك ركز الفرنسيون على مراقبة تحركات أفراد عائلة العثماني ومنهم عثماني زهير، الذي كان متواجدا سنة 1955 بالعاصمة للعلاج، وكان في نفس الوقت تحت مراقبة الشرطة[1].

وفي 29 جوان 1956 أرسل مسؤول مكتب (SAS) لمركز طولقة تقريرا إلى القائد العسكري والمتصرف الإداري بطولقة حول شيخ الزاوية ورد فيه ما يلي: لقد بدأنا نلاحظ أن الشيخ عثماني عبد الرحمان مسؤول زاوية طولقة، قد بدا ينزلق نحو بعض الشخصيات من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو يواصل إظهار مشاعره المعادية لفرنسا، وقد تأكد ذلك مع ممثل جمعية العلماء بطولقة . إمضاء القبطان: MICLOT[2].

وفي تقرير سري أخر ذكر أن الشيخ عبد رحمان ولد في سنة 1905، وهو متزوج وله ستة أولاد، كما يملك ألف نخلة بقيمة 20 مليونا على الأقل. ونعتقد أن هذا التقرير كان مقدمة لمراقبة ممتلكات الزاوية. وهذا العمل يدخل في محاربة منابع التمويل لجبهة التحرير الوطني، وفي هذا السياق طلبت السلطات العسكرية في يوم 25 أفريل 1957 مراقبة الحساب الخاص للشيخ عبد الرحمن تحت رقم الجزائر 1057-15. وبعد المراقبة تبين أن هذا الحساب فيه مبلغ 900 ألف يوم 2 افريل 1957، وفي يوم 18 من نفس الشهر أصبح عنده 1100000 فرنك[3].

---

[1]-C.A.O.M Cote 16h59 S.L.N.A note du 30 aout 1955 n°866 signe casset.

[2]- C.A.O.M cote 16h59 GGA. Dossier territoire militaire de Touggourt C.M de Biskra S.A.S de Tolga lettre a Mr . L'Administrateur CM Biskra date le 29 juin 1956 .

[3]- idem.

في 1957/4/23 صب 2 مليون فرنك . كما وجدوا يوم 27 من نفس الشهر دخول مبلغ 2073000 مليون في الحساب ومبلغ 73000 صب من مدينة قسنطينة، وتواصلت المراقبة على حسابه الخاص[1] .

ففي 31 يوم ماي سنة 1957 دخل إلى حسابه مبلغ 1.2 مليون، وبعد شهرين دخل مبلغ 3.2 مليون. في نفس الوقت كانت المراقبة مشددة على تحركاته واتصالاته، فقد تم رصد مكالمة هاتفية له مع أخيه عبد القادر في فندق استوريا بمرسيليا في فرنسا. ولا شك أن المبالغ المختلفة التي دخلت إلى حساب الشيخ كانت ضخمة في ذلك الوقت. خاصة وان جبهة التحرير الوطني كانت تستعمل التجار وبعض الأغنياء أو بعض الشيوخ لنقل الأموال وتحويلها من مكان إلى أخر بشكل آمن[2] كما طلب القائد العسكري للجنوب منطقة بسكرة يوم 1957/5/6 من السلطات أن تراقب الشيخ قائلا: أن عثماني عبد الرحمن منحت له رخصة للذهاب إلى قسنطينة والجزائر. اطلب منكم تفتيش سيارته ووسائله بدقة[3].

وبعد المراقبة المستمرة والطويلة تمكنت السلطات الاستعمارية من كشف وجود علاقة فعلية بين الشيخ وجبهة التحرير الوطني في منطقة الزيبان وعلى هذا الأساس طلب الجنرال بوشي من والي بسكرة منع عثماني الحاج عبد الرحمن من الإقامة في الأوراس ابتداء من يوم 1958/12/18 بقرار رسمي[4].

وتطورت الأمور من سيء إلى أسوء حيث تم اعتقال عثمان حاج عبد رحمان وعثماني طاهر من طرف قبطان ساس يوم 5 جانفي 1958 لأنه اصب حامين مال

---

[1]- CAOM cote 81f789 rapport PRG Constantine n° 5377 du 7 Mai 1957.

[2]- CAOM cote 81f789 zone sud Constantine troupes des armes sud Biskra quartier ouest n 998 date 31 mai 1957.

[3] -81f789 CAOM Message du comandant cartier ouest secteur Biskra tex 941/90/2.

[4]- CAOM cote 81f789 quartier Tolga du général boucher a m le préfet de n° 30827 10 nov. 1958.

السيد تيتة رابح مسؤول جبهة التحرير في القسمة 23 بطولقة وله علاقة بجبهة التحرير في منطقة بوسعادة[1].

ورغم الرقابة المشددة على عائلة عثماني فان الشيخ عبد القادر فقد تمكن من الهروب إلى المغرب والعمل هناك مع جبهة التحرير الوطني حتى استقلال الجزائر في 1962.

بالإضافة عدد كبير من أتباعه مقادم وأخوان التحقوا بالثورة في الولاية الأولى التاريخية وفي الولاية السادسة.

سابعا –النتائج المستخلصة:

أن سياسة الاستعمار الفرنسي تجاه الزوايا والطرق الصوفية بصفة عامة. كانت تحكمها الاعتبارات السياسية التي تخدم الأهداف الاستعمارية في جزائر بالدرجة الأولى، وفي شمال إفريقيا والعالم الإسلامي بالدرجة الثانية . ولكن هذه السياسة كانت تتأثر دوما بمجريات الأحداث والتطورات التي تحدث على الصعيدين الداخلي والخارجي. فبعد انتشار الثورة التحريرية الجزائرية وتوسعها، وأنظمام مختلف التيارات السياسية إليها . أصبحت جبهة التحرير الوطني ممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري، هنا بدأت الزوايا وسائر النخب الدينية والثقافية تفقد مكانتها ودورها في التأثير على المسلمين الجزائريين. ومن جانب آخر كانت القيادة السياسية الفرنسية في الجزائر تفقد سيطرتها على الوضع السياسي والعسكري. كلما اشتدت الثورة مما فصح المجال للعسكريين المتشددين والأوروبيين المتعصبين للأخذ بزمام الأمور، خاصة بعد سنة 1958 حيث أصبحوا يصنفون جميع المسلمين في كفة واحدة فلا يوجد مسلم متطرف إرهابي معادي لفرنسا مقابل مسلم معتدل أو مسلم صديق لفرنسا. فالمسلمون جميعا في نظر العسكر في خانة واحدة، وهو ما دفع الزوايا إلى الشعور

---

[1]– **CAOM cote 81f789 sud de Biskra 2 bataillon a m le colonel du secteur de Biskra n 238 date 24 juin 1958.**

بان الفرنسيون قد تخلوا عنهم كما فعلوا في تونس والمغرب بعد استقلال البلدين، وعلى هذا الأساس أصبحت الزوايا ترغب في الانتظام لركب الثورة بأي طريقة.

أما الزوايا الوطنية المجاهدة مثل الرحمانية فقد كانت منذ عشرات السنين تقود المقاومة السرية لكل المشاريع الاستعمارية في الجزائر من فرنسة وتبشير وتجنيس... وعند اندلاع الثورة سارعت إلى دعمها بكل ما أمكن من مساعدة والسير في ركابها إذا أقتض الأمر. وهو ما حدث مع العديد من الزوايا الرحمانية كزاوية بنحملاوي التي دفعت الثمن غاليا.

والحقيقة أن الزوايا الرحمانية قد خرج منها الكثير من المجاهدين فعلى سبيل المثال سنقتصر على ذكر الذين وصلوا إلى مراكز القيادة العليا في الثورة نذكر منهم: مصطفى بن بولعيد، سي الحواس، محمد العربي بن مهيدي، علي كافي، هواري بومدين، أحمدي السعيد، العقيد عميروش، محند ولحاج ،عبد الحميد مهري، الحسين أيت أحمد والقائمة طويلة... لكل ذلك تكون بصمة الزوايا الرمانية واضحة جلية في ثورة التحرير المباركة .

لكل ذلك تعتبر الزوايا الرحمانية مركزا هامة لنشر التعليم العربي الإسلامي والحفاظ على الشخصية الوطنية ولتكوين المناضلين والمجاهدين في مختلف الثورات بالجزائر وخاصة ثورة 1954 .